

أن نقرأ الكتاب مرتين

الكاتب



حسن مدن

هل حدث لكم أن عدتم إلى كتابٍ قرأتموه في مرحلة عمرية سابقة من حياتكم، وأثار، يومها، إعجابكم، ومحمولين بهذا الإعجاب تدفعكم الرغبة لإعادة قراءته، فتُفاجئون بأن المطالعة الثانية لكتاب تبدد الانطباع الإيجابي الذي تكون لديكم حين قرأتموه وأنتم في عمر أصغر؟

يحدث هذا للكثيرين منا، وقد لا يكمن السبب في أن الكتاب الذي أعجبنا ذات يوم غير مهم، فلعله، من وجهة نظر معرفية مجردة، يظل محظوظاً بأهميته، التي لا تتبدل فقط لأننا لم نعد نراه ممتعاً كما رأيناه. قد يكون السبب هو أن طبيعة اهتماماتنا الثقافية وذائقتنا في القراءة تغيرت، وبالتالي فإن ما كنا نعده كتاباً جانباً لم يعد كذلك، لأن اهتماماتنا في المعرفة تحولت إلى مناطق أخرى لم تكن تستهوينا، وأن المعرفة نفسها تطورت، وتجاوزت محتوى الكتاب الذي أعجبنا قبل سنوات، دون أن يقلل ذلك من أهميته في مسار تطور هذه المعرفة.

يحدث العكس أحياناً. قد تكون قد طالعنا في مطالع الشباب كتاباً استعصى علينا فهم مضمونه، ربما لطبيعة ما يعالجه من قضايا، أو لأن لغته غير سلسة، خاصة في حال كونه مترجمًا من لغة أجنبية، لم يوفق المترجم إلى لغتنا في إيصال المحتوى بالسلاسة التي هو عليها في اللغة الأصل التي كتب بها، فما أكثر الترجمات التي تُفرقنا من كتب مهمة، لم يحسن مترجموها في تقريب محتواها إليها وشدها إليها.

شيء قريب من هذا يحكيه الناقد العراقي الدكتور عبدالله إبراهيم عن علاقته بآداب غابرييل ماركيز، متوقفاً أمام سيرته الذاتية، فحين أطلع على ترجمتها العربية التي وضعها طلعت شاهين قرأها بتمامها، لكنها كانت «قراءة معرض لا قراءة مُقبل»، كما يقول، لما وجد فيها «من تكرار، وتتكلف، وضعف ترجمة»، ما جعله يعرض عن قراءة ترجمتين آخرتين لها إحداهما بعنوان «عشت لأروي» لصالح علماني، والأخرى بعنوان «نعيشها لنرويها» لرفعت عطفة.

متأخرًا عاد إبراهيم إلى ترجمة صالح علمني، على سبيل المصادفة وحدها، حين اعترضته نسختها في مكتبه المنزلية، رغم أنه لم يكن في وارد قراءتها، لكن الفضول دفعه إلى «تناول الكتاب من أحد الرفوف، وتصفحه واقفًا»، ومنذ السطر الأول حتى الأخير، لم ينفك عنـه، ليقول في منشور له بعنوان: «ماركيز: تعديل حكم نceğiـز» إنه آن أوان تعديل حكمه السابق على الكتاب، فعلى خلاف ما سبق أن قطع به من ضعف الكتاب، وجده، هذه المرة، «سيرة ذاتية مميزة كشفت عن العقدين الأولين من حياة ماركيـز، وفيها تجلـى ثراء حياته، وجسارتـه في خوض تجارب مذهلة، وقد جعل كثيراً من». «ذلك وقائع سردية في رواياته

madanbahrain@gmail.com

© حقوق النشر محفوظة "الصحيفة الخليجية" 2024.